نتائج حفرية كنيسة الرشادية / الطفيلة لعام ٢٠٠٢م

حاكم محاميد

الموقع

تقع الرشادية على بعد ٢٢كم جنوب مدينة الطفيلة وعلى بعد ٨كم من موقع آثار بصيرا الأدومية على الطريق العام الذي يربط محافظتي الطفيلة ومعان (**الشكل ١**). ويعد هذا الموقع من أهم المناطق الأثرية لما يحتويه من تراكمات حضارية وتاريخية متنوعة اتضحت لنا من خلال الدلائل المادية الملموسة المتعددة جراء المسوحات الأثرية الميدانية المتكررة كالبقايا المعمارية الممتدة منذ العصور الحديدية وحتى البيزنطية والإسلامية دونما انقطاع، وتتمثل ببقايا جدران المنازل السكنية والكنائس ومعاصر العنب والزيتون والأعمدة والمقابر والكهوف وآبار جمع المياه.....الخ.

ومن أهم تلك الآثار المكتشفة حديثاً كنيسة الرشادية التي دشنت لخلاص مغاليتس وهي بذلك تكون قد حملت ذات الاسم أي كنيسة مغاليتس (**الشكل ٢**).

قامت دائرة الآثار بإجراء حفرية إنقاذية في الجزء الشمالي الغربي من الموقع بتاريخ ١٩٩٦/٦/٣ واستمر العمل قرابة ثلاثين يوما تم الكشف من خلاله عن بعض أجزاء الكنيسة التي لا تبعد سوى ثلاثة أمتار فقط عن الشارع الرئيس, هذا وقد تعرض الموقع إلى التدمير ونقل بعض الأعمدة من مكانها لقربها من الشارع (**الشكل ٣**).

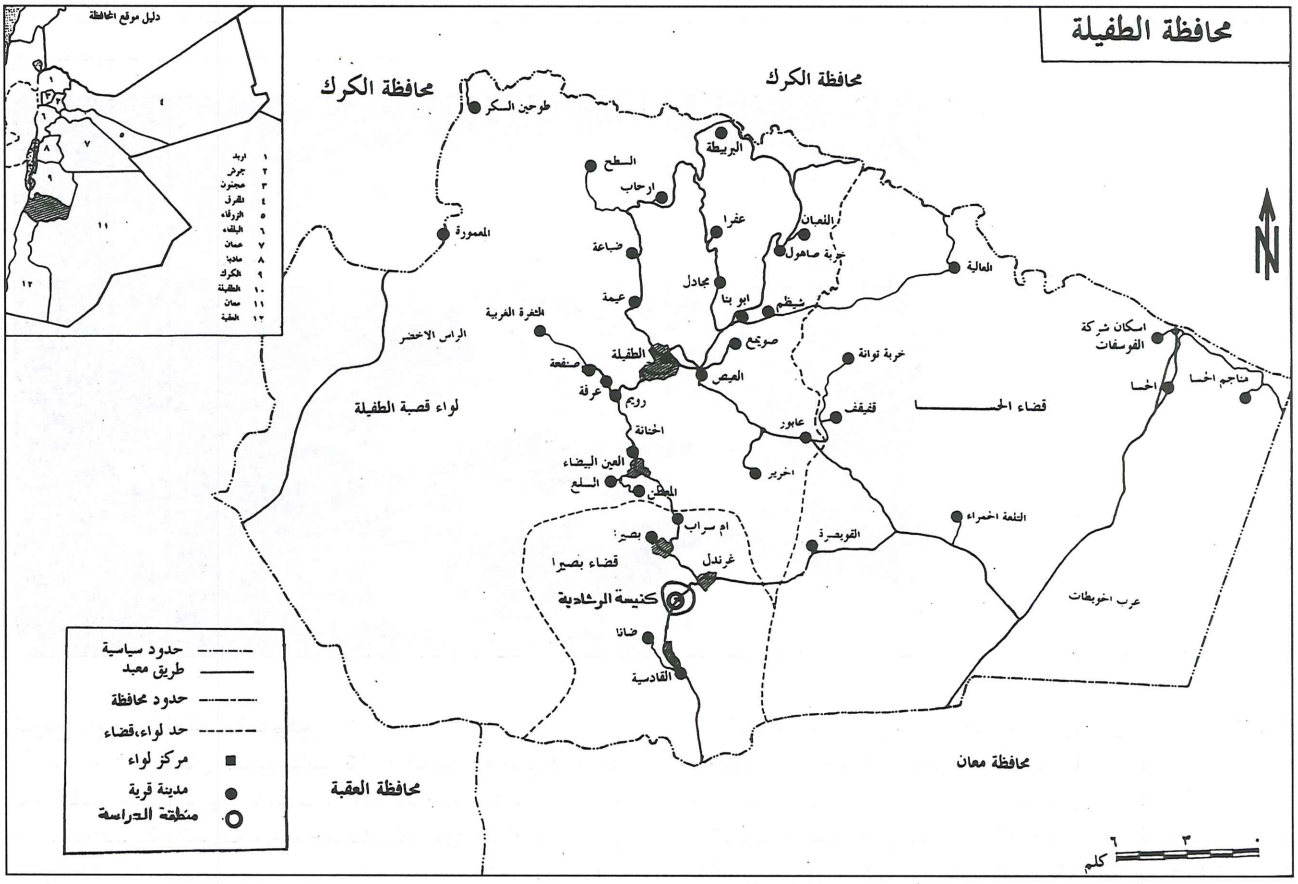

١. خارطة محافظة الطفيلة تظهر موقع الرشادية والكنيسة.

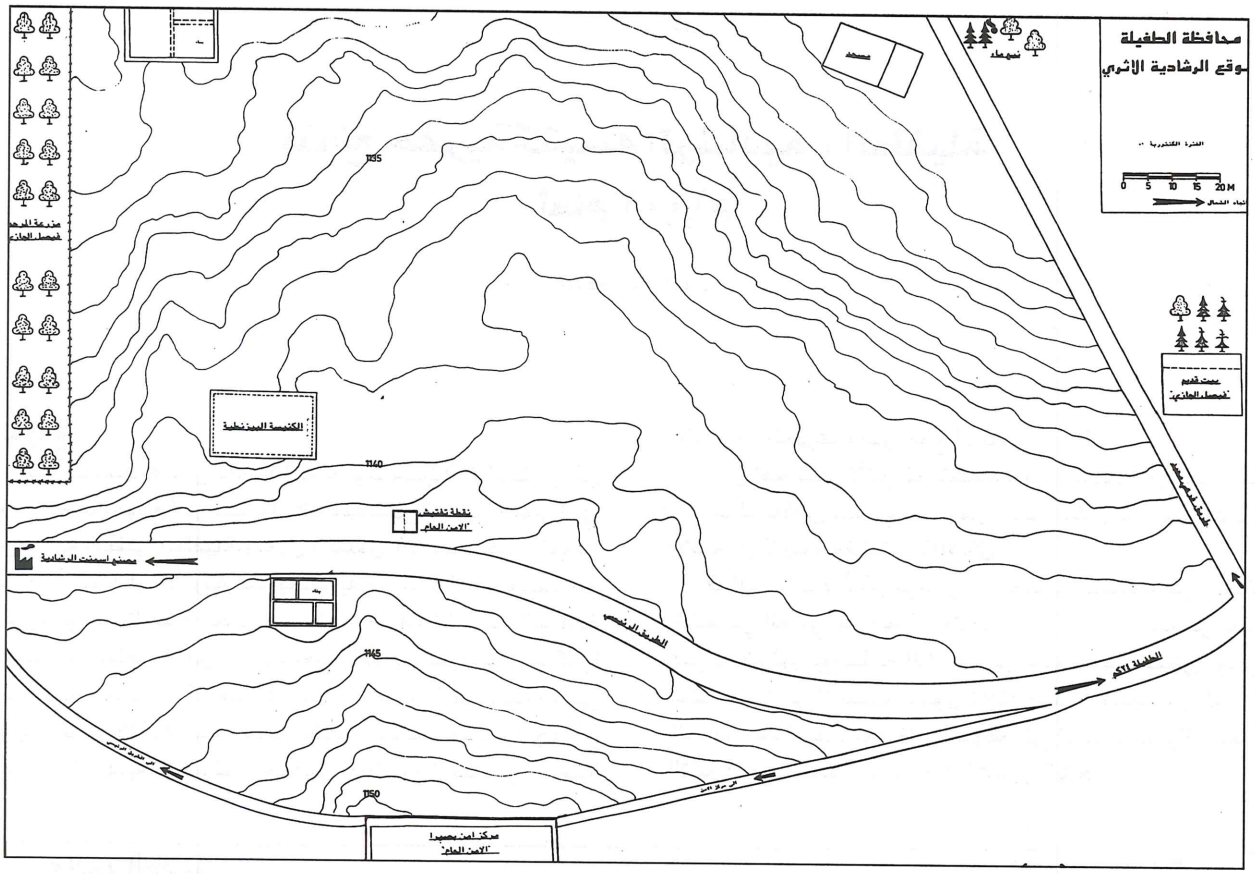

٢. رسم طوبوغرافي يوضح الموقع الأثري والكنيسة.

٣. الكنيسة قبل أعمال التنقيب.

تاريخ البحث العلمي للموقع

من خلال أعمال المسوحات الأثرية الميدانية التي قام بها عدد كبير من الأثريين الأجانب والمحليين اتضحت لنا أهمية الموقع الأثرية والتاريخية، وقد كان نلسون جلوك من أوائل الذين ذكروا الموقع وذلك من خلال أعمال المسوحات الميدانية التي أجراها عام ٩٣٤ (Glueck 1934) حيث تم من خلالها الكشف عن تراكم فخاري كبير يمتد من العصور الحديدية (الحضارة الأدومية) وحتى بداية الفترة الإسلامية، وأهم ما اكتشف ذلك النقش الحجري الذي يذكر تدشين الكنيسة موضوع البحث وهو تاريخ (٥١٣م)، كما قام الباحث الكندي بيرتون ماكدونالد في الفترة الواقعة بين ١٩٧٩-١٩٨١م بإجراء مسوحات ميدانية في المنطقة، كما أجرى المعهد

٤. الأرضية الفسيفسائية.

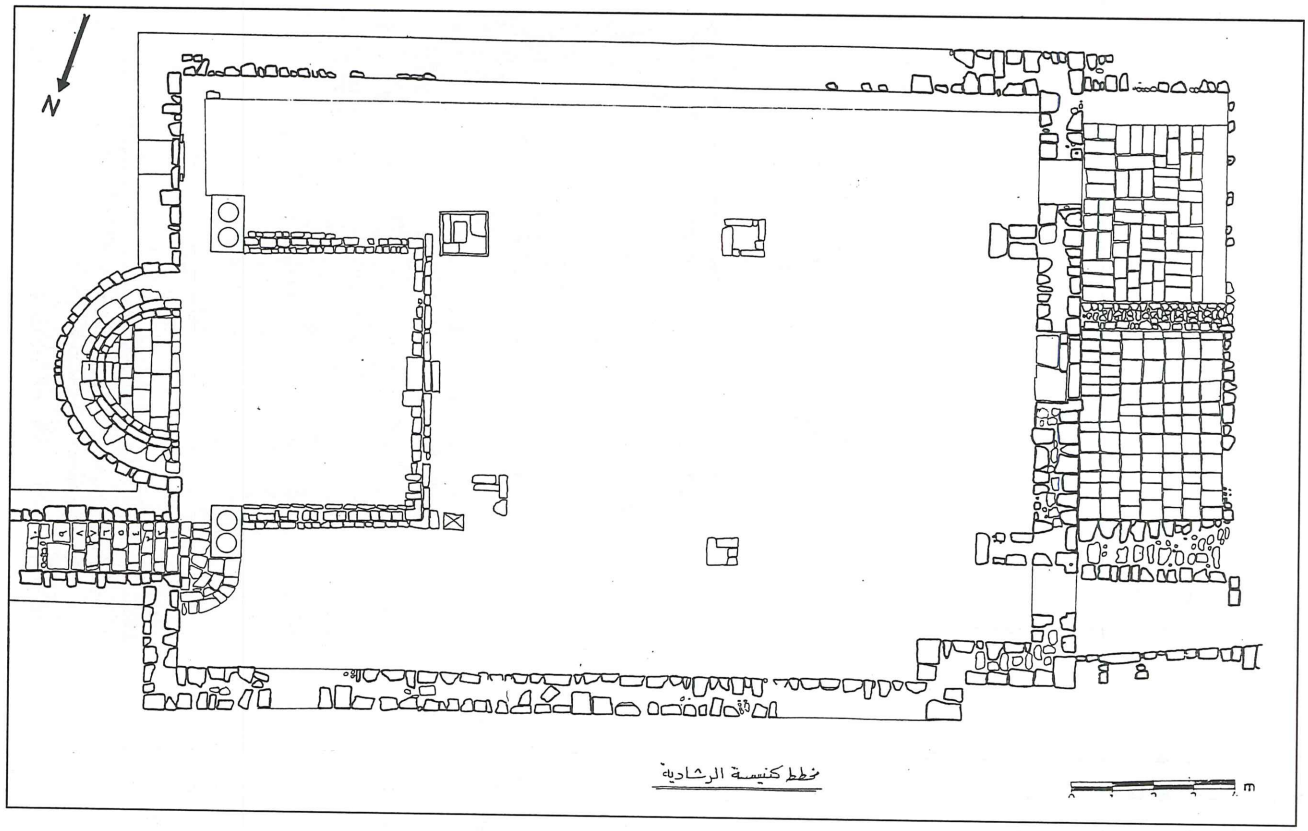

٥. مخطط عام للكنيسة.

البريطاني للآثار عام ١٩٩٦م وبالتعاون مع دائرة الآثار العامة وبإشراف جورج فلندرز بتري مسوحات أثرية في الموقع استمرت لمدة ٤٥ يوما، وقد تم إنجاز الكثير من الأعمال وخاصة جمع العينات الفخارية وتوثيق الجدران والمخلفات المعمارية ووضع المخططات الأولية للموقع. وقد أجمعت هذه البعثات الأثرية على وجود تراكمات حضارية تمتد من العصور الحديدية وحتى البيزنطية المتأخرة.

اهداف البحث الاثري

أهم أهداف البحث الأثري بيان أهمية الموقع من خلال دراسة طبقاته الأثرية وتحديد تأريخه بشكل دقيق والحصول على أدلة مادية قاطعه مثل النقوش والفخار والمسكوكات

٦. منظر يظهر الكنيسة من جهة الشرق.

٧. صورة تظهر الكتابة الإغريقية المكتشفة مع الزخارف الهندسية المحيطة بها.

وغيرها. بالإضافة إلى دراسة العناصر المعمارية والزخرفية، زد على ذلك المحافظة على الموقع وترميمة وصيانتة كونه يقع بالقرب من الطريق العام وإيقاف استمرار توسع الشارع على حساب الموقع، ومن ثم إدراج الموقع على الخريطة السياحية.

المكتشفات الأثرية

بدأ العمل في الموقع بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٤م واستمر لغاية ٣١/ ٢٠٠٢/١٢م وذلك بتمويل من وزارة التخطيط ضمن برنامج التحول الاقتصادي والاجتماعي. فقد تكون فريق العمل من السادة: حاكم المحاميد مفتش آثار محافظة الطفيلة مشرفا عاما للمشروع، ورائد ربيحات آثاري، بالإضافة إلى عدد من الفنيين والعمال.

بداية تمت إزالة الكتل الحجرية الكبيرة والصغيرة الناتجة عن أعمال التجريف التي كانت تغطي معظم أجزاء سطح الكنيسة, وقد تم إسقاط خمسة عشر مربعاً لتغطية أرجاء الموقع بشكل متكامل لتنظيم العمل وتسهيله ومعرفة تراكم طبقاته.

وقد اختلفت الارتفاعات في أرجاء المربعات وذلك لتباين ارتفاع الطمم في جهاتها الأربع، ويتضح لنا إن العمق تراوح في الجهتين الشرقية والشمالية على التوالي من ١٧٤سم إلى ٢٤١سم، ومن الجهتين الجنوبية والغربية من ١١٠سم إلى ١٦٦سم.

٨. رسم توضيحي للكتابة الفسيفسائية.

٩. منظر عام للكنيسة.

وتبين من خلال أعمال التنقيب والحفر بأن جميع المربعات متشابهة من حيث إنها تتكون من طبقة من الطمم الناتج عن أعمال فتح الشارع الرئيس أنف الذكر والتي تبلغ ٥٠سم وهي تربة بنية اللون عثر فيها على عدد قليل من الكسر الفخارية، ومن ثم ظهرت الطبقة الثانية بلون رمادي تحوي الكثير من الكسر الفخارية والرخامية

أما الطبقة الثالثة فكانت تعلو الأرضيات الفسيفسائية وقد احتوت على بعض الحجارة الكبيرة والصغيرة (**الشكل ٤**).

١٠. منظر يوضح الدرج الصاعد للطابق الثاني والجناح الشمالي.

١١. السراج الفخاري العباسي المزخرف.

المخطط العام للكنيسة

بنيت الكنيسة على النظام البازليكي (الشكلين ٥، ٦)، مساحتها ٢٥ - ١٥,٥م تتكون من ثلاثة أروقة: الأوسط وجناحان شمالي وجنوبي يفصل بينها قواعد الأعمدة التي كانت تحمل سقف الكنيسة الجملوني، بالإضافة إلى الهيكل المتكامل الذي يتكون من الحنية وفيها مقاعد حجرية ومقعد أوسط يصعد إليها بثلاث درجات وهي مخصصة لكاهن الكنيسة والمنشدين، وكذلك حاجز قدس الأقداس المكون من الألواح الرخامية تتوسطها الأعمدة الرخامية بعضها مكسور والبعض الآخر غير موجودة ويمكننا من خلال الحنية الصعود إلى المذبح الذي يتوسط الحاجز. كما عثر أيضا على غرفتين صغيرتين بمحاذاة المدخل الغربي، وكذلك على درج يقع إلى اليسار من الهيكل يصعد للأعلى بمقدار عشر درجات حيث يصل إلى غرفة تغيير الملابس الخاصة بالكهنة والمنشدين، كما أن هنالك مدخل آخر على يمين الهيكل بمستوي الجناح الجنوبي يفتح على غرفة أخرى يرجح أنها للتعميد على أن يتم استكمال التنقيب فيهما في مواسم قادمة إن شاء الله.

وصف المربعات وأماكنها

تم فتح ثلاث مربعات وذلك خلال الحفرية الإنقاذية التي جرت عام ١٩٩٦، وعلى هذا الأساس قام الفريق الأثري بفتح مربعات أخرى للكشف عن باقي أجزاء الكنيسة

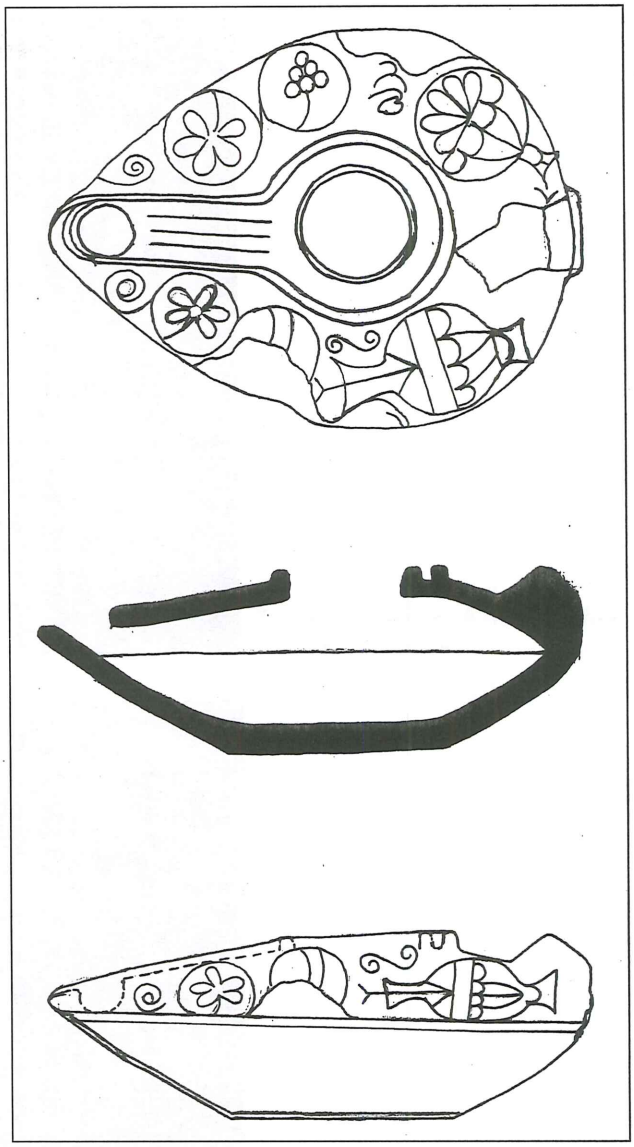

١٢. رسم توضيحي يظهر المقاطع الرأسية والجانبيه لسراج العباسي المزخرف.

ومن أهم هذه المربعات:

المربع (A6): يقع في الجهة الغربية للكنيسة مساحته ٤ – ٤م وبعمق ٢م، تظهر فيه الأرضية الفسيفسائية التي تحتوي على كتابة يونانية تتكون من ثلاث عشرة سطرا داخل شكل ثماني أحيط به زخارف هندسية ومربعات، طول ضلعه حوالي ٥٥سم حيث أفادتنا ترجمة الكتابة في معرفة تأريخ وضع الفسيفساء وهي على النحو التالي: (في هذا المكان وحسب رغبة السيدة العذراء أم المسيح الكلمة غير المنظورة، وبتدبير من الأيمان الكبير بالله تم إنجاز الأرضيات الفسيفسائية في شهر باريتيوس (نيسان) من عام (٤٠٧) في الخمس عشرية السابعة وذلك من أجل خلاص مغاليتس المحبة جداً للمسيح، وقد استكمل العمل بجهود وغيرة اندريوس إبن اليوتوس ٦٥٠) (**الشكلين ٧، ٨**). ونلاحظ أن هذه الكنيسة تتبع أسقفية بصرى الشام بالتأريخ لأن التاريخ المذكور ٤٠٧ يضاف إلية سقوط المملكة النبطية ودخول الرومان إلى المنطقة وهو ١٠٦ فيكون تاريخ الكنيسة هو ٥١٣م في شهر نيسان، كما ذكرت الخمس عشرية السابعة وهذا تاريخ معتمد في التقاليد المسيحية الكنسية وهو مأخوذ من الرومان فهو عبارة عن دورة زمنية تراكمية كل ١٥ عام يتم تغيرها بعد انتهاء المدة المحددة لـ ١٥ سنة (الحصان ١٩٩٩).

كما عثر أيضا على بوابة في الجهة الغربية طولها ١,٩م وارتفاعها ١,١م وعرضها ١م.

المربع (A7): تبلغ مساحته ٣ ـ ٧م وبعمق ٢م، يحتوي هذا المربع على جدارين الأول داخلي يعود للفترة العثمانية وهو عائد لسكن الكنيسة في فترة الاستيطان العثماني للمنطقة حيث تتواجد الآثار العثمانية بما في ذلك مركز للشرطة قديم وبعض البيوت التراثية التي تعرضت للهدم مع الزمن. والجدار الثاني الخارجي يقع في الجهة الجنوبية للكنيسة ويتكون من ستة مداميك من الحجارة المشذبة يبلغ قياس كل حجر ٥٠ ـ ٤٠سم. تظهر في هذا المربع معالم بوابة أغلقت في فترة متأخرة (**الشكل ٩**).

المربع (A8): مساحتة ٣ ـ ٤م بعمق ٢م، يقع فيه الجدار الخارجي للكنيسة من الجهة الجنوبية، يتكون من ستة مداميك مبنية من الحجارة المشذبة قياساتها ٤٥ ـ ٥٠م.

المربع (A9): مساحته ٥ ـ ٤م بعمق ٢م، عثر فيه على بوابتين الأولى في الجهة الشمالية عرضها ١,٣٥م وبعمق ٢م، والثانية في الجهة الجنوبية وهي مغلقة يمكن الوصول إليها بواسطة درج يتكون من أربع عشرة درجة (**الشكل ١٠**)، يبدأ من مستوى الأرضية الفسيفسائية وحتى مستوى سطح الأرض، وعلى جانبي الدرج من الأسفل تم وضع عمودين على قاعدة حجرية وهما من الطراز الدوري، كما عثر أيضا على مجموعه من الحجارة المشذبة وبعض القطع الفخارية كان أهمها سراج فخاري علية زخارف نباتية (**الشكلين ١١، ١٢**).

المربع (A10): مساحته ٥ ـ ٥م، ويضم صحن الكنيسة واستمرار للجهة المؤدية إلى حنية الكنيسة حيث عثر فيه على سراج فخاري وعدد من الحجارة المشذبة ذات اشكال نصف دائرية عليها رسومات نباتية وأشكال آدمية لراس رجل وامرأة ذات أجنحة، كما عثر على تاجية حجرية ارتفاعها ٤٠سم ونصف قطرها ٦٥سم عليها صليب وأشكال هندسية ونباتية (**الشكل ١٣**).

المربع (A11): مساحتة ٤ ـ ٥م وبعمق ٢م، عثر فيه على زوج من الأعمدة ارتفاعهما من ٧٥سم إلى ١م (**الشكل ١٤**)، أما الأرضية الفسيفسائية في هذا المربع فكانت تختلف عن المربعات السابقة لاحتوائها على أشكال هندسية كالمثلثات وهي غير موجودة في الأقسام الأخرى للكنيسة. كما عثر أيضا

١٣. تاجية حجرية مزخرفة على شكل صليب بداخل نجمة ثمانية.

١٤. القاعدة اليمنى للهيكل مع الأعمدة المزدوجة الدائرية.

على نافذة صغيرة محاذية للجدار الشمالي للكنيسة مساحتها ٤٥ ـ ٥٠سم بعمق ٢٠سم.

المربع (A12): تبلغ مساحة المربع ٣,٨ ـ ٥,٢م وبعمق ٢,٣م، عثر في هذا المربع على حنية الكنيسة وهي ذات شكل نصف دائري طول قطرها ٣م ويتوسط الحنيه ثلاث درجات (**الشكل ١٥**)، كما عثر على ثلاثة أعمدة رخامية بلغت أقطارها مابين ٣٠-٣٥سم وبأطوال متفاوتة ما بين ١,٢-١,٥م، وعثر أيضا على قاعدتين من قواعد تلك الأعمدة في حين اختفت الثالثة والتي ربما نقلت إلى مكان أخر.

المربع (A13): مساحته ٣,٨ ـ ٢,٥م وبعمق ٢,٣م، عثر فيه على غرفة صغيره تستخدم للسكن رصفت أرضيتها بحجارة صغيرة مشذبة مربعة الشكل وملساء امتدت على طول الجدار الشمالي للكنيسة (**الشكل ١٦**).

المربع (A14): يقع في الجهة الغربية من الكنيسة مساحته ٥,٣ ـ ١,٦م بارتفاع ٢م، عثر فيه على أرضية مبلطة جزئيا، وكذلك على بوابة حجرية تعلوها كشفه حجرية طولها ١م وارتفاعها ٣٠سم محفور عليها ثلاث صلبان (**الشكلين ١٧، ١٨**).

١٥. منظر للحنية مع المقاعد الحجرية الخاصة بالكاهن والمرتلين.

١٦. الأرضية المبلطة للغرفة الصغيرة الغربية.

جدران الكنيسة

بلغ طول الجدار من الشرق إلى الغرب ٢٥م بعرض ١م، ومن الشمال إلى الجنوب بطول ١٥,٥م وعرض ١م. أما بالنسبة للجدار الذي يقع في الجهة الشمالية يبلغ ارتفاعه ٣,٢م من الأرضية ويتكون من سبعة مداميك من الحجارة المشذبة متوسطة الحجم وكبيرة تفصل بينها الحجارة الصغيرة والطين. ولا يزال ٩٠٪ من هذا الجدار قائم إلى وقتنا هذا. أما الجدار الجنوبي فيبلغ ارتفاعه ١,٨م يتكون من سبعة مداميك مبنية من الحجارة الصغيرة المشذبة وغير المشذبة تم تثبيتها بواسطة الطين والحجارة الصغيرة.

الخلاصة

يتضح لنا من خلال أعمال التنقيب المنجزة أن هذا العمل قد أضاف إلى البحث العلمي الآثاري حلقة جديدة سلط من خلالها الضوء على موقع اثري كان له بعد تاريخي ديني مهم ليضيف لنا موقع سياحي ديني جديد، لذلك يجب استكمال أعمال التنقيب في هذا الموقع لإلقاء الضوء على كافة ملحقات الكنيسة المركزية وذلك لكبر حجمها.

ولا بد لي من الإشارة إلى ضرورة العمل على صيانة وترميم الأرضيات الفسيفسائية والجدران لضمان حمايتها من العاديات الطبيعية والبشرية على حد السواء.

١٧. ألنحت الرئيس للباب علية نحت لثلاثة صلبان.

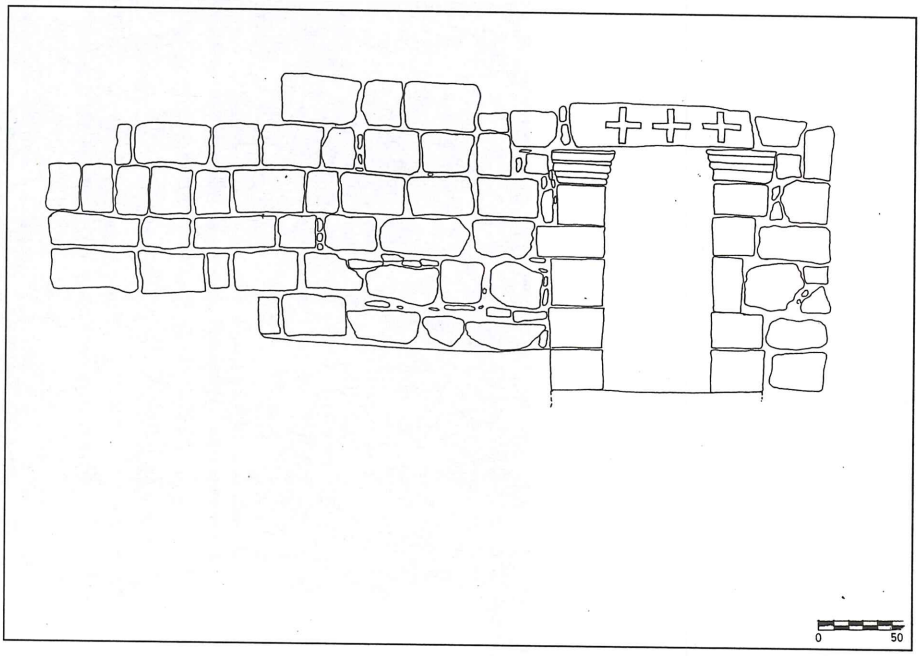

١٨. رسم توضيحي يظهر لنا الجدار والبوابة وكذلك ألحنت المنحوت علية الصلبان.

حاكم محاميد
دائرة الآثار العامة

المراجع

درويش، جهاد
١٩٩٦ **تقرير حفرية أنقاذية لموقع الرشادية غير منشور.**
الحصان، عبد القادر
١٩٩٩ **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور مادة كنائس رحاب.** عمان: مطبعة الأردن.

GluecK, N.
1934-5 Explorations in Eastern Palestine II. *AASOR* 15.